الفصل الأول

نشأة المحطة وتطورها

أزمة مايو 67 ونشأة راديو مونت كارلو:

يمكننا أن نلمس أن الحروب ويليها معاهدات الصلح أو التقسيم، تشكِّل مستقبل أمم، بمعنى أن الحروب منعطفات مهمة في حياة الأمم حتى لو لم تكن طرفًا مباشرًا فيها؟ فمن الأمور التي تسترعي الانتباه، أن أزمة مايو 1967م وأصداءها الدولية وإن ظلَّ دور الأمم المتحدة أثناءها ثانويًا، وهي تختلف في ذلك عن عهد العدوان الثلاثي، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على بداية تحوُّل في العلاقات الدولية، وبروز ما يعرف بالقطبية الثنائية، أي استئثار الدولتين العظميين بالتأثير في توجيه سياسة العالم، وتجلَّى هذا أيضًا أثناء حرب أكتوبر، ولا يخفي على أحد أن ذلك بسبب اعتماد أي طرفين متصارعين عليهما، أقصد الروس والأمركيين في مسألة التسليح.

وإذا أردنا أن نوجز موقف كلٍّ من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إبَّان أزمة مايو عام 1967م، يمكن القول إن كلتا الدولتين لم

تفكرا في التدخل المباشر، وفي الوقت نفسه لم يكن أيٌّ منهما مستعدًا للتخلي عن نفوذه في المنطقة، ولكن بريطانيا استحسنت فكرة اشتراكها في قوة بحرية دولية؛ للحيلولة دون اندلاع الحرب بين مصر وإسرائيل؛ لأنها قد تكون فرصة لمحو أثر الخلاف الذي نشب بينهما وبين الولايات المتحدة عام 1956م أيَّام العدوان الثلاثي، أمَّا فرنسا فقد اعتذرت بشكل قاطع- وهي دولة بحرية مهمة- عن الاشتراك في القوة الدولية، وعلى العموم فإن الدوائر الإسرائيلية العديدة وخاصة المؤسسة العسكرية، لم تدخل من الأصل بهذه الخطة التي تظهر إسرائيل بل وتجعل الإسرائيليين يشعرون بأنهم عالة على الدول الكبرى، مما يهبط بروحهم المعنوية، وكان من سوء حظ الزعيم جمال عبد الناصر، العدول عن هذه الخطة، التي كانت لو نفذت ستتيح له الفرصة أن يعلن أمام العالم أنه ضحية العدوان الدولي.

ولما كانت هناك صلات تقليدية تربط فرنسا بإسرائيل، وتمنَّت حكومة تل أبيب أن تحافظ على هذه الصلات، بدأ أبا إبيان(1)جولته

---

(1)أبا إبيان: مواليد 1915 جنوب أفريقيا، سياسي خريج جامعة كمبردج تخصص في اللغة العربية، عمل في الحركة الصهيونية منذ بدايتها 1939، عُين مندوبًا دائمًا لدولة إسرائيل في الأمم المتحدة.

بباريس، ولكن نظرًا للرؤية الجديدة التي اتسم بها الرئيس شارل ديجول(1) والتي سنعرف فيما بعد أنه السبب المباشر لنشأة راديو مونت كارلو، نقول إنه نظرًا لرؤيته الجديدة بالنسبة لمسألة النزاع العربي الإسرائيلي وسبق بها كثيرًا من ساسة غرب أوروبا، فإنَّ توضيح موقف فرنسا من هذه المسألة يحتاج إلى مزيد من الضوء، فعلى أثر انتهاء حرب الجزائر، شكَّل ديجول لجنة خاصة لدراسة إمكانات فرنسا في الشرق الأوسط، وقد رفع جانيني رئيس اللجنة تقريرًا مفصَّلاً في يوليو 1963م، وأوصى فيه بأن تزيد فرنسا من مساعداتها واستثماراتها في بلدان العالم الثالث الأكثر فقرًا والأعظم نفعًا، وأوصى التقرير بألا تتدخل فرنسا في الخلافات العربية ولا تؤيد الحركات الوحدوية التي يتزعمها الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وفيما يخص إسرائيل مباشرة، فقد نصح التقرير بألا يكون هناك أي ارتباط بين علاقة فرنسا بها وتقاربها من العالم الثالث العربي، وقد سبق لديجول أن أصدر تصريحًا مشهورًا عام 1961 وصف فيه إسرائيل بأنها (صديقنا وحليفنا) وكرَّر مثل هذه المعاني بمناسبة زيارة ليفي أشكول(2) لفرنسا

---

(1) شارل ديجول: رئيس فرنسا من ديسمبر عام 1958 إلى أبريل عام 1969م.

(2) ليفي أشكول: مواليد أوكرانيا في عام 1948م عمل رئيس لقسم الاستيطان في الوكالة اليهودية، ثم وزيرًا للزراعة عام 1951م، ثم وزيرًا للدفاع 1963م ورئيسًا للوزراء. بعد حرب الأيام الستة سلَّم حقيبة الدفاع لموش ديان.

عام 1964م، إلا إنه لوحظ منذئذ، مؤشرات عديدة تدل على تحول فرنسا التدريجي عن صداقة إسرائيل إلى نوع من التوازن في العلاقات، ولهذا التحول أسبابه المختلفة، منها رغبة فرنسا في إيجاد مصادر نفطية متعددة خاصة بعد نشوب أزمات بينها وبين الجزائر حول استغلال النفط، ومنها التعبير عن السياسة الاستقلالية إزاء الولايات المتحدة، فهي لا تساير مسايرة عمياء الدول الغربية العظمى في تحيُّزها التام لإسرائيل، ومن الناحية الاقتصادية التخلُّص من تحكُّم شركات النفط الأمريكية، ومن هذه الأسباب أيضًا نظرة ديجول الواقعية إلى العالم الثالث وتقديره لآماله وهو يعلم أن العرب وحدهم دون إسرائيل ينتمون إلى هذا العالم.

وأستطيع أن أزعم أن فرنسا أرادت أن تستغل انقطاع العلاقات السياسية بين ألمانيا الغربية ومعظم البلدان العربية، مما يتيح لها فرصة لشغل هذا الفراغ، كما سبق لألمانيا أن استغلت ظروف عام 1956 فتغلغلت اقتصاديًا في العالم العربي مستفيدة من ضعف صلاته بفرنسا.

ماذا فعل ديجول؟

الواقع أن الرئيس ديجول بذل جهدًا حتى يقنع الرأي العام الفرنسي بضرورة تغير موقفه من الصراع العربي الإسرائيلي؛ لأنه حتى ساعة قيام حرب يونيو حزيران 1967م كانت ما تزال هناك دوائر رسمية تتحيز

لإسرائيل، ومنها أهم جهاز وهو الإعلام وكذلك جهاز الدفاع، لدرجة أن وزير الدفاع مسيو بيرمسمير تصرف بصفة شخصية أثناء الحرب لصالح إسرائيل، واكتشف العالم العربي فيما بعد أن الوزير سمح بإقراض إسرائيل عشرين طائرة حربية طار بها طيارون فرنسيون، ثم أعيدت بعد الحرب، إلا أنه إثر بدء إسرائيل بإطلاق النار، أعلن الرئيس الفرنسي شارل ديجول حظرًا على تصدير الأسلحة لها، وظل الحظر الفرنسي مضروبًا بالنسبة لإسرائيل ولدولة المواجهة العربية حتى سبتمبر عام 1974م، ومن جهة أخرى أخذت أفكار ديجول حول طبيعة النزاع العربي الإسرائيلي تتبلور، حتى كان المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس ديجول في 27نوفمبر 1967م بعد شهور من حرب حزيران، وعبَّر فيه بدقَّة عن هذه الأفكار الجديدة بموضوعية لم تتوفر لأي من قادة الغرب.

ومن بعض فقرات هذا المؤتمر الصحفي[1]: (منذ أن تقرَّر تأسيس وطن قومي، ثم دولة، وكثير من اليهود يتساءلون ومازالوا يتساءلون عمَّا إذا كان غرس جالية في أرض محاطة من جميع جبهاتها بعرب معادين بوسائل تتفاوت من حيث شرعيتها، سيجر مصادمات لا نهاية لها، ويخشى البعض من أن يتحول اليهود الذين كان مشتتين، إلى شعب طموح نزَّاع

(1) جريدة لومند الفرنسية في نفس التاريخ 28/ 11/ 1967م.

إلى القهر، والتغلُّب على الآخرين، بعد أن أحيى عظمته القديمة، وقد أيَّدت فرنسا قيام إسرائيل ضمن الحدود التي أقرتها الدول، وكانت تأمل أساسًا في العلاقات السليمة مع جيرانها في هذا الإطار، غير أنها أبْدَت نزعة عسكرية منذ عام 1956م تنم عن الرغبة في التوسُّع؛ لذلك لم تشأ الجمهورية الفرنسية الخامسة الخاصة أن تستمر على نفس العلاقات الخاصة التي ربطت إسرائيل بالنظام السابق).

وقد أثارت هذه التصريحات سخطًا في الدوائر الإسرائيلية، لما تنطوي عليه من تلميح إلى ما في الوجود الإسرائيلي من اصطناع، ومما يؤيد هذا الرأي لدى ديجول تشبيهه أحيانًا وضع اليهود في فلسطين بالمستوطنين الفرنسيين في الجزائر سابقًا، وعلى إثر هذا التصريح وجَّه بن جوريون(1) في نفس العام 1967م رسائل احتجاج، ولم تحدث لدى الرئيس الفرنسي أي أثر، فقد أكَّد رأيه من جديد في مقابلة مع المستشار الألماني عام 1968م، فقد استنتج ديجول أن لإسرائيل أهدافًا توسعية على حساب جيرانها ولذلك صار مقتنعًا بأن الدولة العبرية كانت تعد مقدمًا لحرب يونيو، ولم تستهدف الدفاع بل اقتنصت الفرصة.

---

(1) جوريون: دافيد بن جوريون من مواليد بولندا 1886م. هاجر إلى إسرائيل 1906م تولي رئاسة الوزارة الإسرائيلية أكثر من مرة وهو الذي أعلن إقامة دولة إسرائيل، كان رئيسًا للحكومية المؤقتة ووزيرًا للدفاع.

راديو مونت كارلو ليس الأمير رينيه بل الجنرال ديجول كيف؟

بعد حرب يونيو حزيران 1967م وتنكُّر إسرائيل لإرادة ديجول، الذي نصحها في حينه بألا تكون البادئة بالحرب، وبعد الغارة الجوية الإسرائيلية على مطار بيروت 1968م وتدمير عدَّة طائرات تابعة لشركة الميدل إيست، وأزعم أنني أستطيع أن أضيف سببًا آخر، هو ذلك الود المعلن في أغلب الأحيان بين لبنان وفرنسا، فطبيعة الشعب اللبناني المنفتحة وجموحه للحضارة الغربية، واقتناؤه اللغة الفرنسية بكل الحب والتقدير، وفي المقابل طبيعة الشعب الفرنسي المختلط المتداخل وكأنه من العشيرة أو العائلة جعله مفهومًا وقريبًا من الشعب اللبناني فحدث نوع من التمازج الملحوظ.

المهم أن الجنرال ديجول فكَّر بأنه ليس لفرنسا أي حضور إعلامي في المشرق، خلافًا لحضورها في المغرب العربي بواسطة إذاعاتها الفرنسية اللسان، فجمع عددًا من مستشاريه، وقال لهم: (يجب أن تدرسوا لي مشروعًا إعلاميًا في الشرق العربي يؤمِّن الحضور الفرنسي إعلاميًا كما تؤمِّنه الـ بي بي سي **B.B.C** لبريطانيا)[1] وتشكَّلت لجنة هذا الغرض برئاسة أحد مستشاري ديجول المقربين واسمه (بيارلوفران)، ذهب المستشار زائرًا

---

(1) محاضرة رواد طربية في الإعلام في جامعة مؤتة 7/ 4/ 1985 والأستاذ رواد طربية أحد مؤسسي راديو مونت كارلو دكتوراه في الأدب الفرنسي 1960م أستاذ اللغة العربية في السوريون 1967، أستاذ اللغة العربية في اليونسكو 68: 1973م.

منطقة الشرق الأوسط في زيارة استطلاعية على الطبيعة، وهناك اكتشف جوانب يجب مراعاتها من الناحية الفنية:

أولاً: أن إذاعات المنطقة المعنية تعمل كلها على الموجة المتوسطة ولا تستخدم الموجة الطويلة الشائعة في إرسال فرنسا، وكذلك الموجة القصيرة، فمعظم أجهزة الراديو في المنطقة غير مزودة بالموجة الطويلة غير الأمواج القصيرة، التي لا يمكن التقاطها إلا بشق الأنفس إذا جاز هذا التعبير، ففيها صعوبات فنية لا مجالَ لذكرها.

ثانيًا: الموجة المتوسطة كما هو معروف ليست بعيدة المدى، فإذا كان الإرسال يبدأ جغرافيًا من حدود فرنسا أو أي موقع داخل أراضيها، سيصل الصوت إلى نصف البحر المتوسط فقط، ليضيع أي إرسال بعد ذلك، وهنا يستوجب لاستخدام موجة كهذه (متوسطة) ووضع أجهزة بث في المنطقة نفسها.

ثالثًا: ولا يخفى على أي خبير إعلامي أن وضع أجهزة بث في بلد من البلدان المقصودة بالإعلام يورط البلد المذكور أو يورط فرنسا أو يورطهما معًا؛ لذلك كان لابد من اختيار مكان محايد أولاً ومتوسط الموقع في المنطقة ليطول معظمها، وبعد دراسات مستفيضة وسريعة في نفس الآن، استقرَّ الرأي على أنَّ البلد المناسب الوحيد هو جزيرة قبرص، فلا هي عربية ولا

هي إسرائيلية ولا هي عدوة لهذا البلد أو ذاك من البلاد المعنية بالإعلام الفرنسي.

لماذا الإصرار على قبرص؟

إلا أن الدراسات الطويلة التي قامت بها اللجنة المكلفة انتهت، بعد أن كان الجنرال ديجول قد تخلَّى عن الرئاسة وخلفه الرئيس جورج يوميدو"[1] الذي أراد أن يواصل الفكرة ويشجعها ولو كانت لسلفه! فأيَّد المشروع وتوجَّه الشخص المعني لمقابلة الأسقف مكاريوس رئيس قبرص آنذاك، وهناك يجدر بنا أن نتوقف قليلاً لنتعرف على نشأة قبرص وتاريخها.

أول عهد الناس بها أن كانت قبرص للفينيقيين، إلى أن ضعفوا فاستقلَّ بها أمراء قبرص أنفسهم، وكان أهل قبرص آنذاك يونانيين. وهم أهل دِعة وسلام، وخضعوا طوال تاريخهم (25ق) للآشوريين،ثم المصريين ثم الفرس دون مقاومة، وانضمَّ أهل قبرص سنة 502ق م إلى ثورتين اثنتين أخمد الفينيقيون واحدة، ولكن الفرس بقوا حتى سنة 449 ق م، ثم وقعت قبرص تحت سيطرة الإسكندر بعد انتصاره على رادا (ملك الفرس)، وأصبحت تابعة للبطالسة.

---

(1) تولَّى جورج بومبيدو الرئاسة في فرنسا عام 1969: 1974م.

وفي سنة 59 ق م صارت قبرص للرومان، وأصبحت ولاية رومانية، ثم ردَّها أنطون الروماني لمصر، فلما تولَّى أغسطس أعادها رومانية، ثم ملكها العرب بعد تملكهم لسوريا وفلسطين، وأخرجوا منها، ثم عادوا إليها وبقيت قبرص في صراع بين العرب والروم.

وفي عام 1191م امتلكها ريتشارد الانجليزي الملقَّب بلقب الأسد، وأصبحت مملكة من عام 1192م إلى عام 1489م، وارتبط اسمها منذ عام 1191م بأحوال أورشاليم منذ سقوط عكا في أيدي المسلمين، هذا بالنسبة للدور الأول في عمر قبرص.

أمَّا الدور الثاني فهو علاقتها بجنوة حتى عام 1376م، وأصبحت خلال هذا الدور معرَّضة لهجوم سلاطين مصر.

أمَّا الدور الثالث حتى عام 1479، وفيه انحطَّت قبرص وساءت أحوالها، وفي عام 1426م استولى المصريون على نيقوسيا القبرصية، وفي عام 1489م، تنازلت ملكة قبرص عن الجزيرة إلى جمهورية فينيزيا المجاورة، إزاء عدم قدرتها على صدِّ هجوم العثمانيين، ثم هوجمت في عهد سليم الثاني ودخلوها عام 1570م، وأحدث فيها العثمانيون مجزرة كبرى، ودخلت في حوزتهم منذ عام 1571م، وصارت ولاية تابعة إلى أن ثارت عام 1764م، ولكن الثورة أُخمدت إلى أن دخلها محمد علي عام 1832، أثناء حربه مع الأتراك، ثم عيَّنه السلطان العثماني واليًا عليها، ولما حدث

نقض الصلح مع محمد علي عام 1840م أعادت الدول قبرص إلى الأتراك.

وفي عام 1878م تنازلت عنها الدولة العثمانية إلى انجلترا مقابل حماية الانجليز لشواطئ الدولة الآسيوية، ولكن الحقيقة التي أظهرها التاريخ بعد ذلك أنه قد تم في مؤتمر برلين 1878م اتفاقية منفصلة بشأن وضع قبرص تحت الإدارة البريطانية، لتصبح بعد ذلك مستعمرة بريطانية عام 1925م. وفي عام 1947م رفضت قبرص بأغلبية اقتراحًا بريطانيًا بإقامة نظام جديد للحكم، ثم طالبوا بالاتحاد مع اليونان، وتزعَّم الأسقف مكاريوس حركة القبارصة اليونانيين، وبعد حوالي عشر سنوات وبالتحديد عام 1959م وقَّعت بريطانيا واليونان وتركيا اتفاقًا بإقامة جمهورية قبرصية مستقلة ذات مجلس تشريعي، ثلثه من الأتراك وثلثاه من اليونانيين، وانتخب الأسقف مكاريوس رئيسًا للجمهورية القبرصية في نفس العام ديسمبر 1959م، بعدها نالت قبرص استقلالها 1960م، وانضمَّت إلى الأمم المتحدة، إلا إنَّ الصراع اشتد بين الأغلبية اليونانية والأقلية التركية المهمة منذ عام 1963م، ووصل الحال إلى معارك دموية فاضطر الأسقف مكاريوس رئيس الجمهورية إلى مطالبة بريطانيا أن ترسل نجدات ثم استبدلتها بقوات دولية عام 1964م.

ويأتي بعد ذلك الدور الأخير في حياة قبرص، حين قسّمت إلى جمهوريتين: الجنوبية قرب اليونان يرأسها الأسقف مكاريوس، والشمالية

المسلمة من الأتراك القبارصة يرأسها رءوف دنكتاش، والبون شاسع ولا يقارن بين إمكانات الشمالية المسلمة وإمكانات الجنوبية المطلَّة على اليونان، فالواقع أن الجمهورية الشمالية أشد فقرًا رغم المساحة الواسعة، إلا إنها مساحة تكاد تكون خالية من المواد الطبيعية الخام، ولا توجد بها صناعات تقريبًا، والزائر لقبرص الشمالية المسلمة قد تخلبه مناظرها الطبيعية الكثيرة، إلا إنَّ أهلها من الأتراك يتندرون بالكثير من الأسى عن الرئيس جمال عبد الناصر، الذي كان يمد مكاريوس بالسلاح ليضرب مسلمي قبرص من الأتراك في شمالها، وأذكر أنني قمت بزيارة صيفية لقبرص عام 1982م، وطرأت لي فكرة عمل حوار مع رئيس جمهورية قبرص السيد رءوف دنكتاش، كنَّا مجموعة من الإذاعيين والصحفيين قابلنا بود كبير وبدون جهود مضنية، في قصره الذي لا يبعد بأكثر من عشر دقائق عن قبرص نفسها، ومن الخطأ أن أسمي داره قصرًا، فهو بالتحديد فيلا صغيرة بسيطة الأثاث جدًا، تزين الجدران لوحات لأحفاده وصورة واحدة لزوجته، صور فوتوغرافية وليست رسم يد، تشعر أن الإحساس المسيطر عليك هو الإحساس بالأمان، فحجرة مكتبة التي استقبلنا فيها موجودة في الدور الأرضي، حائط كامل يتصدَّرها عبارة عن نافذة زجاجية تطل على مساحة خضراء، لم ألمح أي حارس أمن يجيء ويروح، واللغة التي تحدثنا

بها هي الانجليزية، ظلَّ يدردش بعد الحديث مع الإذاعي مدحت ذكي([1])، والزميلة رباب البدراوي التي لاحظت اضطرابي، فقامت عني تضبط كهرباء جهاز التسجيل، وكان من ضمن الأسئلة التي وجهتها له تقول:

س: ما هو إسهام قبرص الشمالية في الحركة الثقافية العالمية كأحد وسائل تشجيع الاعتراف بشرعية الدولة في الجزيرة؟

ج: نحن في الشمال لم نشارك في الحركة الثقافية العالمية لسببين رئيسين:

أولهما: إننا في الخنادق ندافع عن وجودنا منذ عشرين عامًا، منذ أن أعلنا حكومة لنا في عام 1960 إلى أن جاء الإنقاذ التركي في عام 1974، حيث نجونا من الهلاك المحقق، إلا إن المجتمع الدولي كله بما فيه الدول الإسلامية تجاهلت وجودنا وحقوقنا الدستورية والتاريخية.

وثانيهما: عملت اليونان التي تعتبر أن جزءًا من أرضها محتل- على عزلنا عن المشاركة في الأنشطة الثقافية والرياضية الدولية يساعدها في ذلك مع الأسف الدول الإسلامية، حيث تعمل اليونان من خلال المنظمات والساحات الدولية على إخراجنا ومنعنا من الاشتراك في أي نشاط. وعلى

(1) الأستاذ مدحت ذكي: مراقب عام بالبرنامج العام.

سبيل المثال نجاح اليونان في إخراجنا من عضوية اتحاد المصارعة الدولي، والذي قُبلنا فيه كأعضاء، وقد تم ذلك مع الأسف بمساعدة الدول الإسلامية، ولذا سنبقى كما نحن! إلا إننا حاولنا أن نقف على أقدامنا، ونعتمد على أنفسنا، حيث نشارك في بعض الندوات والمؤتمرات إلا إنها مشاركة محدودة جدًا.

فأنا مثلاً لم أستطع زيارة القاهرة والجزائر مؤخرًا نظرًا لأن اليونان وحكومة (بابا أندريوف) بالجنوب لا تعتبر جواز سفري جواز سفر قبرصيًا، إنما هو جواز سفر غير قانوني!! ولكني أريد أن أسأل حكومة الجنوب، لماذا صادرت حق المواطنين في السفر وهو حق إنساني ودستوري؟ ولماذا يتعذَّر على المواطنين المسلمين في الشمال الحصول على جواز سفر قبرصي معتمد من الجنوب؛ فحكومة الجنوب تمنع ذلك، ولا أحد من الدول الإسلامية يحرِّك ساكنًا! يجب أن تعمل الدول الإسلامية شيئًا في هذا الصدد، فإن هذا هو التضامن الحق كما أفهمه وتقبل جوازات سفرنا.

س: ما هي أهم الإنجازات التي تمت خلال العشر سنوات الماضية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية؟

ج: أهم إنجاز في نظري هو أننا لم نستسلم أبدًا للإبادة – حتى في أسوأ الساعات – فقد وقفنا نحارب وندافع عن حقوقنا وثقافتنا ومكانتنا وهويتنا كمشاركين في تأسيس دولة قبرص، نحن نعتقد أنَّ الله معنا، فلم يكن أمامنا إلا بديل واحد عن الحرب والأمل ألا وهو الاستسلام والفناء كما حدث عام 1900م لـ 65.000 مسلم بجزيرة كريت، حيث أُجبروا على الغرق في البحر أو الفرار من كريت. وبمساعدة تركيا وحدها وضعنا حدًا للظلم والتمييز، فقد ساعدنا جيش التحرير التركي على أن نتجمَّع في الشمال، وأن نبدأ في نشاط اقتصادي مستقل، فقد كان اليونانيون ينكرون علينا ممارسة النشاط الاقتصادي، حيث سيطروا على الموانئ، وهيمنوا حتى على مواد البناء، وحرمونا منها لمدة عشر سنوات، والآن يفرضون علينا مقاطعة اقتصادية... إلخ.

س: ما هو دور حكومتك لجذب رُءُوس الأموال الأجنبية لاستثمارها بقبرص الشمالية: التسهيلات والمميزات التي تشجِّع الاستثمار؟

ج: في سبيل تشجيع الصناعة والسياحة تم سن قانون يعفي المستثمر من دفع الضرائب لمدة سبع سنوات، فضلاً عن بعض التسهيلات الأخرى لرجال الأعمال. وسيتحرك الوضع في البلاد إلى الأحسن إن شاء الله، سواء أصبحنا دولة مستقلة أو اتحدنا فدراليًا، مما يشكِّل تشجيعًا كبيرًا لرجال

الأعمال العرب، فنحن مركز العالم الإسلامي ولدينا ميناء (فماجوستا) الحر، والذي يستخدم في توزيع السلع، والحكومة تشجعه وتدعمهُ، وعلى استعداد لتقديم كافة التسهيلات الممكنة... إلخ.

إنَّ في تصوري الشخصي استثمار واستخدام المال العربي لرفع مستوى معيشة الدول الإسلامية الفقيرة، والتي بها جماهير المسلمين (الأغلبية المسلمة) بهدف تدعيم اقتصادياتها حتى يمكنها مثلاً الإقبال على شراء منتجات بعضها البعض، مما يسهم في الرفاهية، فضلاً عن تدعيمه للعلاقات بين بلدانه على طريق الاندماج والتضامن مثلما تعمل السوق الأوروبية المشتركة... إلخ.

كانت هذه على عجالة أبرز النقاط في عمر قبرص (25ق)، لنعود بعدها إلى مجيء بومبيدو خلفًا لديجول الذي شجَّع الفكرة، وأيَّد المشروع وذهب (بيارلوفران) الموفد الفرنسي لمقابلة الأسقف مكاريوس رئيس قبرص آنذاك، وعرض عليه المشروع فرحَّب به مكاريوس أيما ترحيب لسببين اثنين:

الأول: لأن الإعلام الفرنسي قد يحيد الإعلام البريطاني في المنطقة.

والثاني: لأن تنصيب أجهزة البث في الجزيرة يُدر مالاً لا بأس به من حيث إيجار المكان وإيجار الموجة وتشغيل الفنيين، وما إلى ذلك من خطوة على طريق إنعاش العامل الاقتصادي.

وتم الاتفاق مع الرئيس مكاريوس على إقامة إذاعة عنده تبث بالعربية وبالفرنسية بلسان فرنسا، واسمها (هنا باريس) على أن تكون تابعة لوزارة الخارجية الفرنسية.

وما إن عاد بيارلوفران إلى باريس ليُطلع المسئولين على الاتفاق حتى جاءته برقية عاجلة من نيقوسيا عاصمة قبرص تدعوه للعودة إلى الجزيرة بسبب مفاجأة تعترض الاتفاق!!؟؟

أعظم حيلة صحفية إعلامية في تاريخ الراديو:

عاد بيار لوفران(1) فورًا فقابله مكاريوس، لكون مستشاريه تنبهوا فيما بعد إلى أنَّ البريطانيين عندما غادروا قبرص وأعطوها استقلالها في 16أغسطس 1960م، اشترطوا عليها فيما اشترطوا ألا تنصب في أراضيها أجهزة بث لأي دولة كبرى، وذلك حتى عام 1999م، وبما إنَّ فرنسا دولة كبرى فلا يحق لقبرص أن تمنحها حق البث من أراضيها.

(1)مستشار الرئيس ديجول.

أسقط في يد المندوب الفرنسي لهذا الخبر، وعاد إلى باريس يضرب كفًا بكف، ويكيل اللوم للماكرة (البيون) أي بريطانيا كما يُقال عند الفرنسيين والبيون هي انكلترا بلغة الشعر أو لغة القصيدة في الأدب، وبعد جدل كبير في وزارة الخارجية الفرنسية حول إمكانية التغلُّب على هذا العائق، اقترحوا تغيير اسم الإذاعة من (هنا فرنسا) إلى إذاعة مونت كارلو، وهكذا وجدوا الحل.

الدور المصري في نشأة راديو مونت كارلو:

إذا كنَّا قد تتبعنا سويًا نشأة راديو مونت كارلو منذ كان فكرة برقت في رأس الرئيس الفرنسي شارل ديجول، واقتنع بها سلفه الرئيس جورج بومبيدو، فتغلَّبوا على العائق الذي كاد يهدم الفكرة من جانب قبرص، بأن أصبح اسم الإذاعة (راديو مونت كارلو) بدلاً من (هنا باريس)؛ حتى يقفزوا من فوق شرط عدم إقامة أي أجهزة بث لأي دولة كبرى على أراضي قبرصية حتى عام 1999م، كما تنص بنود معاهدة الاستقلال الانجليزية لقبرص عام 1960م، فاختروا لها اسم مونت كارلو، وهي أحد أجزاء إمارة موناكو الأربع- كما أشرنا في بداية الكتاب- ومساحة الإمارة كلها لا تتجاوز الميل الواحد المربع، ثم سارت الفكرة في مجرى أوصلها إلى التحقيق الفعلي، فاختاروا موقع المحطة، وهو قبرص ونوع

الموجة، وربما اختاروا مهندسًا أو اثنين ليعملا على فتح المحطة وإغلاقها بالتناوب، ولكن يبقى بعد ذلك الوجود الفني المسموع والمفهوم، المادة التي ستقدم، نوعها وشكلها وعدد ساعات الإرسال، بماذا تفتح؟ وبماذا تغلق؟ والأهم من كلِّ ذلك المحتوى، أي محتوى اختاروا؟ ولماذا؟ ومَن سيقوم بالتنفيذ؟؟ فإذا كنَّا قد ألمنا ببعضٍ من تاريخ نشأة راديو مونت كارلو، فيبقى أمامنا كيف نفذ الجانب الفني، وتم اختيار (الفورم Forme) ولماذا؟؟

والواقع أنه من خلال عملي في هذه المحطة وحتى قبل أن أجتاز امتحان القبول الأول، لفت نظري بقوة وبإلحاح كثرة السؤال عن الإذاعية سناء منصور حتى جاء الوقت الذي شعرت فيه بشيء غير قليل من النَّدم لأني لم أحاول أن أتعرف على أخبارها العملية، وربما بعضًا من أخبارها الشخصية، وبعد أن عملت لم يخفت السؤال عنها، ولكني أنا التي بدأتُ أرهف السمع عن كل ما يُقال حولها، يحكون عن أيَّامهم معها، أيام كان الراديو في إمارة موناكو، وفي الجزء المسمى مونت كارلو بدلاً من قلب باريس الآن...و...و... إلخ، وكان طريقي إليها سهلاً قصيرًا والتقينا في مكتبها في إذاعة القاهرة يوم 13/ 8/ 1989م، وأنا كثيرة التفاؤل بالرقم 13، لم يكن في ذهني أسئلة معينة بل عبارة واحدة كانت تحتل كلَّ عقلي

(إيه الحكاية يا أستاذة سناء؟) ولكني ما كدت أنطق بهذه العبارة حتى سمعت سيلاً من المعلومات المؤرّخة والحقائق التي كنت أراجعها – وهي تتكلم- بيني وبين نفسي- وتؤكد صدق كلاهما... وتشاغلت عني في الرد على الهاتف بجوارها، ففي ذلك الوقت لم يكن مضى على تعيينها مديرة لإذاعة الشرق الأوسط أكثر من أسابيع معدودة، وبسرعة كنت أضع أسئلة محدَّدة على ورقات أمامي.

كانت السيدة سناء منصور في شهر إبريل وعلى وجه التحديد في الرابع عشر منه عام 1971م تعمل في راديو باريس الذي يوجّه بالموجة القصيرة وباللغة العربية للمغرب العربي في شمال أفريقيا على الأخص، تسمع كما يسمع غيرها، أن الحكومة الفرنسية تنوي عمل إذاعة جديدة اسمها مونت كارلو ومقرها إمارة موناكو، ولم تكن تدري أن الراديو الفرنسي راديو باريس قد رشحها للعمل هناك، وأنَّ عليها أن تقابل رئيس هذا الراديو في ذلك الوقت مسيو أورجون **Heurgon** لتناقش معه أمورًا عديدة، ومنه عرفت أنه سبق له أن أنشأ إذاعة محليَّة، وهو يخدم في الطيران الفرنسي في أفريقيا إذاعة صغيرة تابعة للقوات الجوية، وأنه الآن كوَّن هيكل الإذاعة الجديدة، ومعه زميل آخر له صفة مدير البرامج هو مسيو شيفال **Jean**

Marie Chauffelوأيضًا مديرة مالية وإدارية وهي السيدة برونيه Prenier وأنهم اختاروها كمذيعة.

لم تتصوَّر السيدة سناء منصور أنه يمكن أن تُقام إذاعة في الدنيا (بهذا العدد من البشر فقط) على حد قولها، وأفهمها السيد أورجون Heurgon أنَّ مدة الإرسال ستكون أربع ساعات فقط في اليوم الواحد، وأنه ليس للإذاعة الجديدة مبنى مستقل، إنما سيأخذون من راديو مونت كارلو الذي يذيع بالفرنسية في بلدة مونت كارلو نفسها، سيأخذون استوديو للبث، والمهندس الفني أيضًا واحد من الراديو الأم مونت كارلو، وأن الإقامة ستكون في نفس البلدة، وأنهم سيستخدمون المكتبة الموسيقية للراديو الأم كذلك، وأنه في حالة اتفاقها معه، سيصل مذيع مصري كان يعمل في البرنامج الأوروبي، وهو السيد مجدي غنيم وزوجته السيدة ماريز ليعمل هو معها، وتعمل زوجته مساعدة، وأضاف أنه لا يعرف عن الذوق العربي الكثير، ولكنه سمع عن السيدة سناء منصور وعرف أنها أصلاً إذاعية من إذاعة الشرق الأوسط في القاهرة، وتقضي فترة تدريب أيضًا، فلهذا سيترك لها مهمة الإرسال كاملة وإن اقترح عليها الاستعانة بمذيعين من العالم العربي ومن جنسيات مختلفة، وإن كان محبذًا لأن يكونوا من الشرق تفاديًا لاختلاف اللهجات، وذلك لأن المحطة الجديدة

والموجودة في قبرص إرسالها ضعيف، ففي البداية عملت بقوَّة 20كليو واط من قبرص، وهذا يعني أنها ستغطي السواحل فقط للأردن وسوريا ولبنان وربما الإسكندرية، فإذن المطلوب أن يكون المذيعون من هذه المنطقة، وتقول السيدة سناء منصور (العرض حقيقة بالنسبة لي لم يكن له أي معنى؛ لأني سألته، وأين سأعيش؟ فقال لي في مونت كارلو، فقلت: وأين مونت كارلو هذه؟ لأني لم أكن أعرف أين هي! فقال لي إنه يعرف بأني أعمل بالقطع في راديو باريس، وأن راتبي 5000فرنك فرنسي عام 1971 إلا إنه سيعطيني كراتب 2500 فرنك فقط، وعقد سنة قابل للتجديد)، وتقول السيدة سناء منصور: (إذاعة لم يسمع عنها أحد! وبلد أقل بكثير من باريس! ومرتب نصف ما أحصل عليه! لماذا ؟ فقالت له: أنت تعرف أنني أعمل في راديو باريس، وتعلم قدر دخلي، ورغم هذا تقترح عليَّ النصف تمامًا أي 2500فرنك؟؟

فقال: نعم.

قلت: لماذا؟

قال: لأنكِ صغيرة السن وأنا كطيار سابق لي فلسفة في الحياة، فكم واحد من الإعلاميين في هذه الدنيا تأتي له فرصة أن ينشئ إذاعة جديدة ليس فيها صوت غيرك، إذاعة أنتِ صاحبة القرار فيها؛ لأني لن أتدخل

فيها لأني لا أعرف ذوق مستمعي الشرق الأوسط، أنتِ ستختارين الموظفين وستدربيهم، وبالتالي فهذه مغامرة لا تتكرر لكثير من الإعلاميين، أنتِ كما قلت لكِ صغيرة، وأي مغامرة تقومين بها ستكون النتيجة إما النجاح وفي هذه الحالة تكونين قد استفدتِ، أو الفشل، والمغامرة في حدِّ ذاتها ثرية بدرجة كبيرة، حتى إنَّ الفشل فيها يساوي أنكِ عملتِ التجربة".

وتدرك الشابة المصرية السمراء فارعة الطول ضاحكة الوجه، والمسئول الفرنسي يعرض عليها بمعنى قاطع وربما جديد على الفكر المصري، تدرك أنه يحمِّلها وحدها مسئولية اتخاذ القرار، وتقول لنا سناء منصور: (ثمن هذه المغامرة الـ 2500فرنك فرنسي) الفرق بين المرتبين، لقد شعرت أنه يجعلني أدفع ثمن إعطائي تجربة لا تتكرر كثيرًا، لقد انبهرتُ بهذا التفكير، رغم أنه سيمثل دخلاً صغيرًا للحياة في الغربة، وطلبت منه المهلة للغد كما أراد، رغم أنني كنت قد قرَّرت قبول العرض).

وسافرت السيدة سناء منصور بعد عشرة أيَّام من الاتفاق، وبالتحديد يوم 24 أبريل، ولم يبقَ على بدء إرسال راديو مونت كارلو إلا أسبوع واحد، فقد تقرَّر أن يبدأ الإرسال أول مايو 1971م.

ولابدَّ أن نذكر هنا أنه أثناء عمل سناء منصور في راديو باريس كانت تعبئ يوميًا وزميلتها هيام حموي(1) مدة ساعتين على شرائط لِبثها من محطة قبرص لحساب راديو باريس، وقبل أن يكتمل الشكل ويتبلور فيما بعد على هيئة راديو مستقل، يبث من مونت كارلو وتلتقطه محطة قبرص، لترسل الإشارات إلى الشرق الأوسط بعد أن نجحوا كما عرفنا سابقًا في وضع أجهزة البث في قبرص كبلدة محايدة وصغيرة.

وتقول لنا سناء منصور: (كنَّا نقول على هذه الشرائط نحن إذاعة جديدة، هل تسمعنا بوضوح صديقي المستمع، وهل يصلك الإرسال؟ رجاء أن تبعث لنا على عنوان قبرص، شيئًا بدائيًا جدًا وطبعًا لابد من الأغاني الفرنسية والأمريكية لجذب أذن المستمع على هذه الشرائط).

ونلاحظ هنا أن السيدة سناء منصور كانت تتعامل في هذه الشرائط وزميلتها هيام حموي دون أن يكتمل الشكل في ذهنها بأن قبرص ستكون

---

(1)هيام حموي سورية من حلب جاءت إلى باريس بعد حصولها على الثانوية العامة في سوريا على أساس أن تكمل دراستها في إحدى جامعات باريس، وعملت في راديو باريس، ثم عملت في راديو مونت كارلو بعد انتقاله إلى باريس، وتعتبر المذيعة هيام أحب مذيعات الراديو وأقربهن إلى قلوب مستمعي الراديو في الشرق الأوسط قاطبة.

جهاز للإرسال يستقبل البث من مونت كارلو كما توصل الفريق الفرنسي برئاسة المستشار بيرلوفران إلى ذلك. وتذهب سناء منصور بثقة وعزم أكيد إلى قرية مونت كارلو لتجد أنهم استأجروا فيلا خالية من كلِّ شيء اللهمَّ إلا بساط الأرضية وقريبة جدًا في موقعها من راديو مونت كارلو الذي يبث بالفرنسية، فكانت تقطع المسافة في دقائق معدودة وتحضر الاسطوانات وتجلس على الأرضية لتستمع إليها، وتحسب زمن كل واحدة دون مساعدة.

ما من تعليمات عندها، إلا أنه سيكون هناك موجز للأنباء بالعربية كل ساعة ستفتح فيه الخط من عندها إلى محطة الإذاعة والتليفزيون الفرنسية**O.R.T.F** فيعطيها صحفي من راديو باريس الموجز بالعربية، ثمَّ تعود للإرسال من موقعها مرة أخرى، وتقول سناء منصور: (أنا وحدي ماذا سأفعل؟ تجربتي كلها إذاعة الشرق الأوسط التي أتيت منها للتدريب في الإذاعة والتليفزيون الفرنسي، وبعد ذلك العمل في إذاعة باريس، هل أحوّل ما كنت أعبئه على شرائط من باريس لتبث من قبرص إلى لايف**Life**من داخل الاستوديو هنا؟ ما هو الحل؟ ولم يكن أمامي بعد تفكير طويل إلا هذا التخطيط، وهو أن أتخيل أن راديو مونت كارلو سيكون إذاعة للشباب، على أن أحاول الوصول إلى نوعية من المستمعين لا

تضعهم عادةً الإذاعات الأخرى في اعتبارها بشكل قوي، ولم يكن اختياري آتيًا من فراغ؛ لأني أثناء عملي في إذاعة الشرق الأوسط كنت أقدِّم برنامجًا للأطفال وأيضًا برامجًا لتحت العشرين سنة، فكان شعوري أنني متمرسة في مخاطبة هذه النوعية من المستمعين).

وإذا كانت المذيعة من بعض جوانبها محتوى فكري تريد إيصاله للمستمعين مع طريقة مميزة إلى حد كبير، والنقطة الأخيرة مهمة جدًا، فالمذيعة ليست آلة صماء بمجرد الضغط على الزر الآمر بالكلام عليها أن تتكلم، بالطبع لا وإلا ما تميزت مذيعة عن أخرى، فطريقة الأداء هي الفارق حتى لو كان محتوى الكلام واحدًا، وقد كانت طريقة أداء سناء منصور هي ما أعجب المستمع المستهدفTarget audience،طريقة فيها فهم كبير لأعمار مستمعيها فوجدها الشيء المختلف عما يسمعه في الـ بي. بي. سيB.B.C أو صوت أمريكاVoiec of Americaأو حتى عن راديو باريس، وتقول سناء منصور: (لقد كنت في راديو باريس أذيع باللغة العربية الفصحى، كانوا متمسكين في الموجة القصيرة بها، والخطأ الوحيد في التشكيل كان يستوجب المساءلة ربما لمدة شهر بعدها، ولكني قررت أن أذيع بالمصري، وأن أخلع الكرافتة أمام الميكرفون، وسيكون أسلوبي أسلوب إذاعة الشرق الأوسط، وأكثر خفة أيضًا لأني منطلقة من أرض فرنسية).

وجاء سريعًا يوم الافتتاح كإذاعة مستقلة (كانت الساعة الواحدة ظهرًا يوم 1 مايو 1971م، وكان هذا اليوم يوافق عيد الموجيهMuguet في فرنسا، وفيها كل إنسان يهدي مَن يقابله وردة بيضاء، وذهبت إلى الاستوديو ومعي اسطوانات تكفي أربع ساعات. افتتاح محطة ولا يوجد مخلوق في انتظاري، اللهم إلا الفني الفرنسي، فلم يكن أحد يهتم من راديو مونت كارلو الفرنسي بنا كإذاعة قوتها 20كليو وات، كأنها تذيع في شارع، ثم إنها بالعربية، وتذيع للعرب!! ولكن قبل موعد الإرسال بعشرة دقائق وصل رئيس مجلس إدارة راديو مونت كارلو الفرنسي، وكان وزيرالبريد أيضًا في إمارة موناكو، وكان اسمه مسيو سلاميتو **Monsieur Salamito** ، ومسيو أورجون **Monsieur Heurgon** مدير راديو مونت كارلو العربي الذي سيفتح الآن، ومعهم بالطبع مهندس الصوت الفرنسي، وقبل أن نبدأ أعطاني كل واحد منهم وردة عيد الموجيه **Muguet**،وفي الثانية المحددة كان اللحن القومي المميز للمحطة **Humne National Monegasque**يعلن بدء الإرسال في أول مايو. كنتُ في قمة التوتر وقد جهزت مقدمة قصيرة قلت فيها القصد من إنشاء هذا الراديو والجمهور المستهدف ومَن أنا ومن أين أتيت وأعطيتُ رقم الهاتف ورقم صندوق البريد وطلبت المراسلة... ولما كان لي دوري في إذاعة الشرق الأوسط قبل أن أعمل في باريس فكانت قدرتي على امتلاك زمام السلطة في الاستوديو كاملة لي في تعاملي مع الفني

من خلف الحاجز الزجاجي. وقد زاد إحساسي بهذه السلطة؛ لأني شعرتُ أن المهندس لديه نوع من القناعة المسبقة بأنه سيتعامل مع مذيعة من الأدغال!! فكنت محددة تمامًا في إشاراتي متى يصعد بالموسيقى ومتى يجعلها خلفية فقط لأتكلم... إلخ، وفي إحدى الأغاني فوجئت بدخول الوزير ورئيس مجلس إدارة راديو مونت كارلو الفرنسي مسيو سلامينو Monsierur Clamito و Monsieur Heurgon يهنآني بحرارة ويقول:Vous etes gracieuseبمعنى أن أداءك فيه رفعة وعلو، فقلت: ولكن أنتَ لا تفهم العربية، فقال: من طريقة إعطائك الإشارات للمهندس، بعدها شعرت أنني ملكت الاستوديو فعلاً، ومرَّتْ الأربع ساعات على أكمل وجه).

وإذا كان الإذاعي بطبعه سريع الالتقاط والالتفات إلى كل معلومة أو خبر ولو كانت صغيرة لينضج شخصيته يومًا بعد يوم بل ساعة بعد ساعة، فإن وجودهم كعاملين جدد أقصد سناء منصور، ومجدي غنيم، وماريز زوجته في إذاعة تُنشأ حديثًا، وقد أصبحوا الآن يعدون على أصابع اليد الواحدة بجوار زملائهم، ممن يعملون في راديو مونت كارلو الفرنسي، كان هذا هو المحك الذي تعلموا منه واكتسبوا مهارات لتواجدهم اللصيق بهم، وقد بادلهم الاهتمام الإذاعيون الفرنسيون بعد أن سمعوا عن نجاح يوم الافتتاح، وتقول لنا سناء منصور: (أن أعيش يوميًا داخل إذاعة مونت كارلو الفرنسية وهي فعلاً من الإذاعات التجارية المتطورة جدًا في

فرنسا، فكان هذا الوضع هو المدرسة الحقيقية التي تعلمنا جميعًا منها، فلم ألمس البساطة فقط التي نزاولها في إذاعتنا، إنما وجدت أيضًا خفة الدم وإثبات الشخصية ونجومية المذيع، بمعنى أن المذيع هو مالك الفترة، يعني يستطيع أن يهزر مع المستمع، يعمل مقلب في زميله على الهواء، وأذكر أنه في يوم كنت حاضرة لنشرة أخبار في راديو مونت كارلو الفرنسي، وكان هناك مسيو برنارد اسبندلبر **Monsieur Bernard Spendler**وكان نائب رئيس تحرير، بمعنى أنه جاد ومحترم. اسم المذيع مسيو ايف **Monsieur Yves** وهو أيضًا محترم، وكان مسير برنارد سبندلير **Monsieur Bernard Spendler** يمسك بايب بين يديه، فما كان منه إلا أن أشعل الورقة التي يقرأ منها الصحفي النشرة، أشعلها من أسفلها فكان المذيع يقرأ الخبر بسرعة، ثم يلقى بالورقة المشتعلة ويرتجل باقي الخبر على الهواء مباشرة، فشعرنا بجو من الفكاهة، عمرنا ما سمعنا عنه في الإذاعات العربية أو المصرية!! وهذا الشكل استهوانا جميعًا، وأول مَن جرَّبنا فيه هذه المقالب كان مذيع لبناني ودكتور في علم النفس هو غسان يعقوب، كانت وجهة نظر مسيو أورجون**Heurgon**الاستعانة بأناس ليسوا إذاعيين أصلاً، ونقوم بتدريبهم حتى نبتعد عن الشكل التقليدي للمذيع والإذاعة، ثم أتوا لنا بحنا مرقص وهو فلسطيني في باريس، ثم مهيار حيدر(1)وهو سوري،

(1) الذي عرفته كزميل لي تحت اسم نبيل حيدر.

بعد حوالي ستة أشهر من بداية الإرسال، بالإضافة إلى مجدي غنيم المصري وزوجته المصرية ماريز وشقيقه حمدي غنيم(1)كمساعد لمجدي، وماريز مساعدة لي، وقبل أن يبدأ بث الأربع ساعات اليومية كان هناك دائمًا الساعتان المعلبتان التي تسجلهما هيام حموي وحدها من باريس وتفتتح المحطة بهما صباحًا من قبرص، ثم يتوقف الإرسال ويُعاد البث من مونت كارلو أربع ساعات أخرى).

حرب أكتوبر وشكل راديو مونت كارلو الجديد :

وإذا كانت سناء منصور قد أمضت وقتًا مرحًا وممتعًا إلى الآن وهي تجتاز تجربتها الثريَّة والنادرة في محطة مونت كارلو العربية، إلا إنها وللمرة الثانية يحين الوقت لتتخذ أصعب قراراتها منفردة أيضًا، وتتحمل المسئولية فيها كاملة فقد سافر مسيو أورجونHeurgon إلى بلدة قريبة من مونت كارلو، حيث تسكن أسرته، وتقول لنا سناء منصور: (إرسالنا يبدأ الثانية ظهرًا بتوقيت جرنتش، كنتُ قد وصلت بداية الفترة بحوالي ساعة ففوجئت بصحفي(2) فرنسي يقول لي:

- سناء... هناك حرب في بلدك، لقد هاجمتم إسرائيل.
- امشي اخرج برة أنا أعرف مقالبكم، ولا تعطلني و... و... و...

---

(1)الذي عرفته كزميل لي بعد أن حول اسمه إلى جون بول.

(2) لاحظ أن السيدة سناء منصور تسمي المذيع بكلمة صحفي كما يسموهم وإلى الآن.

لم أصدِّقه بالطبع فقد بقى لي سنة ونصف أعمل في هذا العالم كما لو كان عالم أطفال أطفال أطفال، إلا إنه خرج مندفعًا وشدَّ لي ورقة من على التكرز القريب، كانت الساعة الثانية وسبعة عشر دقيقة وعرفت الحقيقة، إننا نحارب إسرائيل فعلاً وسوريا كذلك، على الفور طلبت باقي الزملاء من المساعدة ماريز إلى أن حضروا، كنت أفكر ماذا أفعل؟ في التجارب السابقة في عام 1967م وجدت الإذاعة تذيع القرآن الكريم، لكن من أين أحضر شرائط قرآن الآن؟ فلم يكن افتتاح راديو مونت كارلو بالقرآن الكريم، لقد قال لي يومها مسيو أورجون **Heurgon**: (استقلالاً عن أن أحرجك كمسلمة وأنتم متعودون أن كل شيء يبدأ بالقرآن وإذاعة فرنسا الرسمية التي هي راديو باريس تفتح إرسالها الموجَّه إليكم بالقرآن على الموجة القصيرة، أما أنا فلا أحب أن أكون**Hypocrite**أي منافق، وأنا كضابط فرنسي أيضًا يهمني عزة الشعوب، ولا أستخف بذكائها؛ لأن العالم العربي لن يصدق القرآن من مونت كارلو!! وتقول سناء منصور وأنا بالتالي احترمت وجهة نظره، كان الوقت لم يحن بعد لأفتح الإرسال على باريس لإعطائي الموجز وأحاول أن أطلب منهم القرآن لهذا الظرف، وفي الوقت نفسه لا أريد أن يمر وقت طويل إلى أن يحين موعد الموجز، هذا الوقت يضيع بالأغاني الخفيفة كما هو متبع، فكان قراري أن أضع

موسيقى في شكل مارشات، وهذه متوفرة في مكتبة راديو مونت كارلو الفرنسي، وعلى الهواء مباشرة ترجمت خبر قيام الحرب من ورقة التكرز التي أعطاها لي زميلي الفرنسي، كنتُ في حالة توتر وخوف شديدين؛ لأنها مسئولية وأنا وحدي ولم نعثر على مسيو أورجونHeurgon،وفكرت ألا يجوز أن تنقل وكالات الأنباء أخبار خطأ، وفي الوقت نفسه تنبهت أيضًا إلى أننا في عطلة نهاية الأسبوع، مما يجعل العثور على مسيو أورجونHeurgonأمرًا بالغ الصعوبة، وكان لابدَّ لي بما أنني أقدمهم خبرة أن أتخذ القرار، فكان قرار المارشات العسكرية أو الكلاسيكية، والذي ساعدنا على إحضار هذه النوعية من الموسيقى صديقة فرنسية من موناكو ومسئولة المكتبة اسمها سيلفانSilvanaكادت أن تتحول إلى عربية من شدة حماسنا ولهفتنا وتتبعنا للأنباء... إلخ، وبعد القرار الأول كان لابدَّ أن يعقبه أكثر من قرار، فاتصلت براديو باريس ورد عليَّ الصحفي محمد الشاعر(1) وكان من رأيه ألا ألتزم بمواعيد المواجيز (أخباركم كمحطة مستقلة ومنفصلة عنا تمامًا)، وهذا صحيح فنحن نستعيرهم على موعد المواجيز كل ساعة من راديو باريس، واقترح على:

---

(1) محمد الشاعر: مصري الجنسية ويعمل في النشرة الإخبارية في راديو مونت كارلو بعد أن انتقل مقره إلى باريس، وله أداء مميز، بالإضافة إلى الحرفية الكاملة كمذيع.

(كل ما يكون لديَّ خبر تفتحي الخط بيننا، أعطيه لك فورًا)، فطلبت أن أكلم الأستاذ أنطوان نوفل رئيس الأخبار العربية في راديو باريس، وعرضتُ عليه الأمر وهو صحفي(1) ويعلم أهمية الأخبار، إلا إنه لم يستطع أن يقترح علينا هذا الاقتراح لأنه سيعتبر تدخلاً في سياسة راديو مونت كارلو الجديد، وهي إذاعة مستقلة، فلم أسمع منه إلا عبارة (الله يحميكي... الله يحميكي، لابد أن تذيعي أول بأول الأخبار)، وصلني رد فعل الأمور على الجانب الآخر، الذي يفصلنا عنه آلاف الكيلومترات. لقد كانوا جميعًا في راديو باريس سعداء أنني طلبت شيئًا يريدونه، والمسئولية في الوقت نفسه كاملة عليَّ ودخلت الاستوديو أُعلن إلغاء جميع البرامج، وأقول (بأمانة شديدة لا أستطيع أن أقدم البرامج التي تعودتموها والحرب في بلدي، وربما بدأ سيل دماء الشهداء سواء مصري أو سوري أو أردني).

عبور خط بارليف غيَّر راديو مونت كارلو تمامًا كيف؟

كانت السيدة سناء منصور متغيبة عن مصر من عام 1968م في فرنسا على أساس منحة من الحكومة الفرنسية للتدريب في راديو وتليفزيون باريس، فلما دخل عليها أحد الصفحيين الفرنسيين قائلاً:

---

(1)لاحظ أن السيدة سناء منصور تسمِّي المذيع بكلمة صحفي كما يسمونهم في راديو مونت كارلو وإلى الآن.

Daucement les Enfants بمعنى مهلاً أيها الصغار، وأبلغهم أن المصريين عبروا خط بارليف، لم تكن تعرف ماذا يعني خط بارليف؟ هل هو داخل تل أبيب؟ فأخذ يشرح لها زميلها الصحفي على الخريطة، وأدركت أنها معركة مصير، حماسها وحماس زملائها انتقل إلى العاملين في راديو مونت كارلو الفرنسي، فرحتهم وانتظارهم اليقظ وتتبعهم للأخبار انتقل إليهم، والنشرة يصنعها الصحفي من أولها إلى قراءتها من داخل الاستوديو، لقد كانوا بالنسبة لزملائهم الفرنسيين عاملاً مؤثرًا وفعَّالاً دون أن يدروا، فخرجت الكلمات من أفواه الفرنسيين، فيها قدر من الميل نحو العرب،لقد لعبوا دورًا بعفوية كعنصر تمسه القضية ومنتصرًا في الوقت نفسه، ولكنه دور غير محسوب بالطبع.

وفي اليوم التالي بدأ إرسال المحطة في السادسة صباحًا ليس من قبرص بأشرطة هيام المعبأة، إنما من مونت كارلو،وبالطبع وافقتهم هيام لأنها (سورية ملتزمة) على حد قول سناء منصور، بدأ الإرسال تمام السادسة صباحًا بالمارشات العسكرية والأنباء المتوالية دون الالتزام بمواعيد المواجيز، إلى أن نجحوا في العثور على مسيوأورجون **Monsieur Heurgon** تليفونيًا كان اليوم هو السابع من أكتوبر

وسمع(1) منهم كل شيء، وطلب منهم أن يبقى الإرسال حتى العاشرة مساءً بتواصل، وهذا هو الشكل الذي بقي راديو مونت كارلو يعمل به، في هذه الفترة كان السيد أنطوان نوفل رئيس الأخبار في راديو باريس ومعه محمد الشاعر ورواد طرباي وجون سوري كانوا الصحفيين العرب الذين يعطون الأخبار أولاً بأول، ومع كلِّ جديد، وكان من الطبيعي أن تتأثر النبرة، وأن تعلو؛ لأن معركة أكتوبر بالنسبة لهم كعرب معركتهم الشخصية، وكان من الطبيعي أن يتحول الراديو عن الحيادية والموضوعية إلى حدٍّ ما، وبدا كأنه إذاعة عربية، فلم يكن من الممكن أن يقول أنطوان نوفل كرئيس للأخبار في راديو باريس غير مثلاً: وتقدَّمت القوَّات المصرية وعبرت خط باريف، وهي الآن في... وفي... وفي لا يمكن أن يقولها مثلاً: وتزعم بعض المصادر المطلقة أن القوات المصرية تخطت خط باريف... إنما كان يقولها هو وزملاؤه بنبرة حماسية وثقة، فقد كان شعورهم أقوى من أن يكبح ويسطير عليه، وظل الإرسال قائمًا حتى العاشرة مساءً بتوقيت جرينتش من يوم 7 أكتوبر سنة 1973م، وهذا النظام المعمول به إلى الآن من الخامسة صباحًا بتوقيت جرينتش إلى العاشرة مساءً بتوقيت جرينتش.

---

(1) ملاحظة مهمة جدًا: في البلاد المتحضرة التليفون كوسيلة اتصال تؤدي نفس تأثير المقابلة الشخصية.

بداية الأزمة في راديو مونت كارلو؟

هذه الأزمة بدأت بوصول ثلاث برقيات، الأول من جامعة الدول العربية للمسئولين الفرنسيين تشكرهم فيه، ومن بعض محتوياته (نحن نحيي راديو مونت كارلو ونشكره على الطرح الموضوعي لقضيتنا كشعب عربي)، وكان أول جرس ينذر ببداية أزمة؛ لأنه في الوقت نفسه أيضًا وصل احتجاج من السفارة الإسرائيلية في باريس للحكومة الفرنسية على لهجة راديو مونت كارلو في الإعلام عن أنباء المعركة الدائرة في الشرق الأوسط، وفي نفس اللحظة كذلك وصل تلكس إلى السيد أورجونHeurgonمدير المحطة من مكتب الدكتور لوسيان دحداح في بيروت وهو المكتب المسئول عن جلب إعلانات للراديو كإذاعة تجارية، ومن بعض محتوياته: (لم يكن راديو مونت كارلو العربي مسموعًا مثلما هو قائم هذه الأيام، ونحن نحيي العاملين فيه والصحافيين من راديو باريس... إنَّ الجماهير في بيروت تكتب على الحوائط الـ بي. بي. سي B.B.Cيساوي انحياز، وراديو مونت كارلو تتخذ مسارًا جادًا وعندما وصل هذا المضمون إلى وزارة الخارجية الفرنسية، فهذا يعني أن الراديو غير موضوعي من وجهة نظرهم.

وتقول لنا سناء منصور: (وصل مسيو أورجون **Heurgon** في قمة غضبه يتهمني بأنني خدعته، وأنه لن يسأل الصغار مثل مجدي وغسان

وحنا مرقص، ولكنه يسأل أكبرهم سنًا وخبرة، وهذا حقيقي لقد كانوا جميعًا في العشرينيات من العمر، وأنا كنت أكبرهم بحوالي عشر سنوات، ثم بدأ يسأل عن أشياء انتهت مثل بأمر مَن تضعون مارشات عسكرية ولم تستأذنوني؟! رغم أنه كان قد وافق عليها من قبل، ثم استدعى مسيو شوفيلJean Marie Chcffelالذي كان له منصب مدير البرامج ولم يكن يدري أنه من عاشقي لبنان على وجه التحديد وليس العرب، ولهذا كان يرى أن هذا تداخل، بل نوع من الفاشية Fachistمن جانب مسيو أورجون Heurgon).

وانتهى لقاؤه الغاضب أو المستهجن معها على طلب باجتماع مجلس إدارة فوري في صالة الاجتماعات، وتركا السيدة ماريز ومعها مؤنس ليصنعا المارشات ويفتحا الإرسال على راديو باريس للأخبار بعد أن قالت السيدة سناء منصور للسيد أورجونHeurgon(أنا لم أخدعك، ولا تطلب مني أن أكون موضوعية، فأنا لم أقل اذبحوا الإسرائيلين أو اقتلوهم... ولكن لا تنكر عليَّ مصريتي، وعامة أنا مستعدة أن أترك المحطة إذا أجبرتني أن أقول ما أنا لستُ مؤمنة به).

وكان هذا أشد صدام حدث بين السيدة سناء منصور والمدير الفرنسي مسيو أورجون Heurgon .

يا همبكة شفرة راديو مونت كارلو الجديدة!

إنَّ كلَّ ما يحدث في هذه المحطة كان له الطابع الشبابي المندفع، فنرى سناء منصور تكتل الآخرين ليتركوا المحطة إذا لم تصل إلى اتفاق مع السيد أورجون، وكانت كلمة السر بينها وبينهم هي (يا هكبمة) اتفقت على أن تقولها للسيدة ماريز كشفرة تغادر بعدها الراديو فورًا. وفي الاجتماع كانت طلبات السيد أورجون Heurgon تنحصر في ضرورة العودة بالمحطة إلى شكلها السابق من أغانٍ راقصة وبرامج مرحة، وقد ألقى باللوم الشديد على صحافيين راديو باريس فيما يرسلونه من أخبار بطريقة أداء صوتية معينة، تعلن انحيازهم للعرب، وهذا يتنافى مع حياد الراديو المطلوب، ووجَّه هذه العبارة إلى السيدة سناء منصور:

"Mme Mansour arretey vous voter cirque et votre cinema et vous etes a al serviee du gouvernement francais"

(بمعنى يا سيدة سناء أوقفي حركاتك البهلوانية والسينمائية التي تصنعيها من هذه المحطة، فأنتِ وقبل كل شيء في خدمة الحكومة الفرنسية".

إلا إن الجميع رفضوا تمامًا التعاون معه والانصياع لتوجيهاته، رغم احتياج بعضهم للوظيفة كمصدر وحيد للدخل في هذه البلاد، وطلبت على الخط الداخلي المساعدة لتقول لها كلمة واحدة (همبكة)، والتفتت إلى السيد أورجون تعلن أنها ستقدم استقالتها فورًا، فما كان منه إلا أن قال لها

(سأكون في غاية السعادة أن أقبل هذه الاستقالة)، وتقول سناء منصور: (نزلنا مكتبه وطلبت من مهيار حيدر الذي يجيد الكتابة على الآلة الكاتبة أن يكتب استقالتي، وبعد أن كتبها ووقَّع اسمه بجوار اسمي تضامنًا معي إذ بمجدي غنيم يأخذ الاستقالة ويمزقها لأنه يرى ضرورة أن نكتب استقالة جماعية، رغم أن مجدي غنيم لم يكن يريد العودة إلى مصر بسبب قضية التجنيد، وكان هذا العمل هو مورده الوحيد، أما مهيار حيدر فكانت القضية محسومة بالنسبة له، لقد أرسلته بلده ليحصل على الدكتوراة، سيعاود البحث والمذاكرة، أما حنا مرقص فكان فلسطينيًا يقطن باريس من فترة، وتضامن الجميع معي. في هذه الأثناء أرسل السيد أورجونHeurgonصديقة لنا اسمها مدامDuponدوبون لجسِّ نبضنا، وكانت زوجة سفير فرنسا في تونس وتربطها صداقة كبيرة بالسيد أورجونHeurgonفكانت تعمل مديرة لمكتبه في باريس، وتأتي من آنٍ لآخر لتشرف على مكتب مونت كارلو.

فوجئت بفكرة الاستقالة الجماعية، فذهبت فورًا إلى مسيو أورجونHeurgonالذي طلب مقابلة كل فرد فينا على حدة، ولكنه لم يصل إلى إقناع أيٍّ منا، وعندما جاء دوري قال لي: (استقيلي كما تشائين وليس هناك أي اعتراضIneonvenientولكن لا تفرضي استقالتك

على أيٍّ منهم بحق صداقتنا وإعزازي الكبير لكِ)، فقالت له: (هذا حقك وطلبت نصفة ساعة لإقناعهم بالعدول عن الاستقالة الجماعية، وكانت محاولتي بلا فائدة، بلا أي فائدة)، ثم نادى مهيار حيدر، وقال له: (أعرف أن استقالاتهم تضامنًا مع سناء، فقد دربتهم من قبل و... و... ولكن أنت لم تمضِ هنا أكثر من شهر، فأرى أن تبقى على الأقل)، فكان رد مهيار حيدر السوري: (أنا لي وجهة نظري في هذه الاستقالة تحسبًا للمستقبل. سناء منصور كما كنت تقول لنا هي (الرجل الرابعة) للراديو بعد سيادتك كمدير للراديو ومدام برونيه**Prenier** مديرة الشئون المالية والإدارية ومسيو إرتس**Ertess**المسئول عن محطة الإرسال من قبرص وسناء منصور الرابعة. سناء التي تطلق يدها في كل شيء وراتبها 4000 فرنك أكبر من راتب مدير البرامج جون ماري شوفال **Jean Marie ehauffel**إذا كان هذا مصيرها، فماذا ستفعل معي إن أخطأت اليوم أو غدًا؟) (فأسقط في يد المدير السيد أورجون **Heurgon**واتفق معنا على أن يطلب انعقاد مجلس إدارة الهيئة، التي تملك راديو مونت كارلو الفرنسي وراديو مونت كارلو بالعربية، وهي هيئة السوفيراد **Sofirad** لعرض الأمر عليها وتبليغها بالقرار الذي سيتخذونه، وسافر فعلاً إلى باريس وعقد المؤتمر كما أردنا، وبقينا نحن في مونت كارلو).

ولكن الشيء المهم، أن السيد بيرلوفرانPier Lovran وهو أحد مستشاري ديجول السابقين، والذي سافر بنفسه للاتفاق على إقامة المحطة في قبرص، هذا المستشار كان هو بعينه رئيس مجلس إذاعة الهيئة، وكان أيضًا من عشَّاق لبنان، وهو الذي أقام القناة الفرنسية في تليفزيون لبنان. وحضر هذا الاجتماع أيضًا ممثل عن وزارة الخارجية الفرنسية، وتولَّى مسيو أورجونHeurgonنقل وجهة نظر العاملين العرب في راديو مونت كارلو والتي تتلخص في أن هذه فرصة لن تتكرر أمام فرنسا لتثبيت أقدام الراديو في الشرق الأوسط، والوثوق بالكلمة الفرنسية، والتي ترسل بالعربية لأن تتكرر في حين أنه لو تمسك الراديو بالموضوعية الباردة كما هو الحال في الإذاعات الأخرى، فلن يكسب شيئًا، وأنهم فكروا أكثر من مائة مرة وأنهم لم يستطيعوا أن ينفصلوا عن كونهم مواطنين عرب و... و... و... إلخ، وبقي الراديو يذيع هذا اليوم المواجيز فقط، بالإضافة إلى المارشات العسكرية دون تصعيد، كما وعدوا السيد أورجون Heurgon، الذي سافر واجتمع بهم، وفي تمام السابعة مساءً طلب راديو مونت كارلو ليقول لهم: (لقد اتفقوا هنا معكم في وجهة نظركم على ألا تزيدوا من عملية التصعيد).

سناء منصور